

جهود سيدنا عثمان بن عفان في جمع آيات القرآن دراسة تحليلية تفصيلية

الدكتور محمد حامد محمد سعيد

كلية أصول الدين وعلوم القرآن، جامعة السلطان عبد الحلیم معظم شاه الإسلامية العالمية – ماليزيا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الهادي الأمين، والداعي إلى صراط الله المستقيم، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين وبعد؟؟
من المقرر لدي علماء الأمة الإسلامية أنه لم يحظ كتاب من الكتب السماوية بما حظي به القرآن الكريم من رعاية وعناية واهتمام وإتقان حتى في شكله الخارجي -فضلاً عن داخله من مضمون ومحتوى - من أهله والقائمين عليه في مشارق الأرض ومغاربها، ومن هذا الغرض شرعت في المشاركة ببحث علمي حتى أنال شرف المساهمة بأوراق علمية تتحدث عن: ((جهود سيدنا عثمان بن عفان في جمع آيات القرآن دراسة تحليلية تفصيلية))
وقد تكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مطالب، وخاتمة.

المقدمة:

وتشتمل على ما يلي:

أولاً: أسباب اختيار الموضوع.

ثانياً: مشكلة البحث.

ثالثاً: أسئلة البحث.

رابعاً: منهج البحث.

خامساً: أهداف البحث.

سادساً: خطة البحث.

أولاً: أسباب اختيار الموضوع: أردت الكتابة في هذا الموضوع لعدة أسباب منها:

1/المساهمة في الكتابة عن مسألة الجمع العثماني، وكيف كانت سبباً من أسباب حفظ الله تعالى لكتابه.

2/ بيان الجهود المبذولة فيها من سيدنا عثمان وأصحابه، مع إبراز ما تميزت به مرحلة الجمع العثماني.

3/إظهار تثبت الصحابة الكرام ومدى دقتهم في العناية والاهتمام بكتاب الله تعالى وخاصة عن جمعه.

4/بيان أن الجمع العثماني إنما كان عن مشاورة وتشاور بين الصحب الكرام وليس رأياً فردياً أو هوى وعصبية كما يدعي بعض المستشرقين.

ثانيًا: مشكلة البحث:

تكمن مشكلة هذا البحث فيما يدعيه البعض من الحاقدين والكارهين لدين الله تعالى من كون الجمع العثماني أنقص أو زاد أو حذف بعض الآيات والسور القرآنية، وبالتالي فنسخة الجمع العثماني لا يعترفون بها بزعم كونها محرقة أو ناقصة، وهذه هي مشكلتهم في عدم ضبط نزعة العصبية عنهم.

ثالثًا: أسئلة البحث:

هناك بعض الأسئلة التي تطرح نفسها على صفحات بحثنا هذا منها:

س: ما مدى صحة روايات الجمع العثماني، وما مدى الدقة المبذولة فيها؟

س: هل تم الجمع العثماني عن مشاورة بين الصحابة أم أنه كان رأيًا فرديًا ولمصلحة من؟

س: ما هي الأسباب التي أدت بسيدنا عثمان لجمع القرآن الكريم في كتاب واحد، وبحرف واحد عند الاختلاف؟

س: هل هناك منهج اتبعه سيدنا عثمان عند الجمع أم أن الأمر تم اعتباطًا بدون تنسيق وإعداد حكيم؟

رابعًا: منهج البحث:

سلكت في إعداد هذا البحث المنهج التحليلي الوصفي، حيث شرعت في ذكر الأسباب التي أدت بسيدنا عثمان لجمع القرآن الكريم، ثم تحليلها تحليلًا عمليًا في ضوء القواعد العلمية التي أقرها علماء البحث العلمي، ثم بيان المنهج الذي اعتمد عليه سيدنا عثمان في مسألة الجمع وأقره الصحابة عليه في جمعهم للآيات القرآنية، مع توثيق الأقوال ونسبة كل قول لقائله.

خامسًا: أهداف البحث.

يهدف البحث إلى بيان أهمية الجمع العثماني في حياة الأمة الإسلامية، وبيان مدى أثره على توحيد الصف الإسلامي، وإبراز الجهود التي بُذلت فيه، ومدى العناية الفائقة من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب الله تعالى، ثم بيان المنهج العثماني المتبع في جمع القرآن الكريم على يد كبار الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

سادسًا: خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مطالب، وخاتمة.

أما التمهيد: فأذكر فيه التعريف بأهم مفردات عنوان البحث.

ثم خطة البحث: فجاءت على النسق التالي:

المطلب الأول: الدوافع والأسباب التي أدت بسيدنا عثمان لجمع آيات القرآن.

المطلب الثاني: المنهج العثماني المتبع في جمع القرآن.

المطلب الثالث: تراجم لبعض ممن ساهم في مسألة الجمع.

ثم أختتم بحثي بخاتمة تشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي خرجت بها من خلال معايشة البحث وصفحاته. -سأئلاً الله تعالى القبول والنفع في الدنيا والآخرة-.

التمهيد:

فأذكر فيه التعريف بأهم مفردات عنوان البحث حيث جاء على هذا النسق:

معنى كلمة الجهود - مفهوم الجمع للآيات القرآنية - مفهوم الدراسة التحليلية.

معنى كلمة الجهود: أصل اللفظة (ج ه د)، الجهد والجهد: بفتح الجيم وضمها: الطاقة والوسع، الجهد، بالفتح: المشقة، وقرأى بها قوله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ} التوبة/79، يقال جَهَدَ دابته وأجهدَهَا إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها، وجهد الرجل في كذا أي: جدَّ فيه وبالغ، وجهد الرجل على ما لم يسم فاعله فهو مجهدٌ من المشقة، وجاهد في سبيل الله مجاهدةً وجهادًا، والاجتهادُ والتَّجَاهُدُ بذل الوسع والمجهود⁽¹⁾. وعلى هذا فاللفظة تعني: الجهد والطاقة التي بذلها الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في جمع آيات القرآن الكريم في كتاب واحد لتوحيد الصف الإسلامي ومنعاً للتفرق والاختلاف.

مفهوم الجمع للآيات القرآنية:

من المعلوم لدى المتخصصين أن مفهوم الجمع له معان عدة في اللغة، وهذا مما ليس له مجال في بحثنا هذا، ولكن ما يعيننا المفهوم العام للجمع، فجمع القرآن يعني: جمع كل النسخ المكتوبة بأيدي أصحابها، تمهيداً لتوحيد القراءة فيها، مرتباً على سوره الحالية وهذا ما أمر به سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه في زمن خلافته.

مفهوم الدراسة التحليلية:

يعني الباحث بالدراسة التحليلية: أن يقوم بجمع المادة العلمية المتعلقة بموضوع بحثه من خلال مصادره ومراجعته الأصيلة، القديمة منها والحديثة، ثم التعليق على النصوص المنقولة بما هو مناسب للحال وذلك من خلال منهج علماء البحث العلمي الصحيح بعيداً عن العصبية والهوى، ثم تحليل النصوص وفقاً لقواعد البحث العلمي الصحيح، ثم استنباط الأحكام المرتبطة بالموضوع.

المطلب الأول: الدوافع والأسباب التي أدت بسيدنا عثمان رضي الله عنه لجمع آيات القرآن

(1) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي مادة (جهد) 534/7، مختار الصحاح للرازي مادة (جهد) 119/1.

من الأمور المتفق عليها أن سيدنا عثمان رضي الله عنه ما جمع المصحف في كتاب واحد من تلقاء نفسه ولا بهوى وعصبية منه؛ وإنما كانت هناك عدة دوافع وأسباب أدت به لجمع الآيات القرآنية في كتاب واحد، مع مراعاة لغة واحدة، وقراءة واحدة عند الاختلاف، وعن رأي ومشاورة مع كبار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، حيث إن مثل هذه الأمور العظام لا يصح لفرد أن يتخذ فيها قراراً فردياً كائناً من كان هذا الفرد، حيث يقول الشيخ الزرقاني: "وقد استجاب الصحابة لعثمان فحرقوا مصاحفهم واجتمعوا جميعاً على المصاحف العثمانية، حتى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي نُقل عنه أنه أنكر أولاً مصاحف عثمان وأنه أبي أن يحرق مصحفه رجع وعاد إلى حظيرة الجماعة حين ظهر له مزايا تلك المصاحف العثمانية واجتماع الأمة عليها وتوحيد الكلمة بها"⁽¹⁾. إذا فهناك إجماع من الأمة وتوحيد لكلمتها في اتفاقها على مصحف واحد.

لقد جمع سيدنا عثمان رضي الله عنه المهاجرين والأنصار، ولم يصدر قراراً من تلقاء نفسه، وإنما شاورهم في الأمر - كما هو منهج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ومنهج الخليفين من قبله- ومنهم قادة الأمة وخيار الصحابة وعلماء المسلمين وفي مقدمتهم سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه أجمعين حيث عرض عليهم هذا الأمر الخطير - جمع القرآن - فتدارسوه فيما بينهم وناقشوه مناقشة تتسم بالإخلاص لله تعالى حتى انتهت المناقشة والمشاورة إلى إجابته إلي رأيه في صراحة تامة ليس في القلوب أدني شك فيها، وكان سيدنا علي كرم الله وجهه ينهى عن أن يعيب أحد من الناس فعل عثمان هذا - يعني جمعه للقرآن الكريم - فحينما: "قدم علي الكوفة قام إليه رجل فعاب عثمان بجمع الناس علي المصحف فصاح وقال: اسكت فعن ملأ منا فعل ذلك، فلو وُلّيت منه ما ولي عثمان لسلكت سبيله"⁽²⁾.

ثم إن جمع القرآن من سيدنا عثمان رضي الله عنه كان عن جمع من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤكد هذا ما ذكره الإمام القرطبي بقوله: "وكان هذا من عثمان رضي الله عنه بعد أن جمع المهاجرين والأنصار وجلة أهل الإسلام وشاورهم في ذلك فاتفقوا على جمعه بما صح وثبت في القراءات المشهورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإطراح ما سواها واستصوبوا رأيه وكان رأياً سديداً موقفاً رحمة الله عليه وعليهم أجمعين"⁽³⁾.

وفي كتاب الشفا ما نصه: "أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْمَتْلُوعَ فِي جَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ الْمَكْتُوبَ فِي الْمُصْحَفِ بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ مِمَّا جَمَعَهُ الدَّفْتَانُ مِنْ أَوَّلِ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - إِلَى آخِرِ - قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) إِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ وَوَحْيُهُ الْمُنَزَّلَ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّ جَمِيعَ مَا فِيهِ حَقٌّ، وَأَنَّ مِنْ نَقْصٍ مِنْهُ حَرْفًا فَاصِدًا لِذَلِكَ أَوْ بَدَلَهُ بِحَرْفٍ آخَرَ مَكَانَهُ أَوْ زَادَ فِيهِ حَرْفًا مِمَّا لَمْ يَشْتَمِلْ عَلَيْهِ الْمُصْحَفُ الَّذِي وَقَعَ الْإِجْمَاعُ عَلَيْهِ، وَأُجْمِعَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْقُرْآنِ عَامِدًا لِكُلِّ هَذَا أَنَّهُ كَافِرٌ، وَهَذَا رَأْيَ مَالِكٍ قَتَلَ مِنْ سَبِّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِالْفَرِيَةِ لِأَنَّهُ خَالَفَ الْقُرْآنَ

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني 261/1

(2) الكامل في التاريخ لابن الأثير 9/3

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 52/1

وَمَنْ خَالَفَ الْقُرْآنَ قُتِلَ أَيُّ لَأَنَّهُ كَذَّبَ بِمَا فِيهِ"⁽¹⁾ فالجمع العثماني جُمع باتفاق أهل الحل والعقد من الصحابة الكرام، وليس اجتهادًا من سيدنا عثمان وحده.

وبنظرة تأملية لدوافع وأسباب الجمع العثماني نرى أن علمائنا اجتهدوا في ذكر بعض من الأسباب والدوافع التي أدت بسيدنا عثمان إلى جمع القرآن الكريم كله في مصحف واحد نلخص بعضها فيما يلي:

أولاً: إن الدافع والسبب الأساسي في الجمع العثماني إنما هي إرادة الله عز وجل:

حتى يبقى للقرآن الكريم حفظه ورعايته التي تولاهما الله عز وجل مصداق قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ حَافِظُونَ} الحجر/9، فلو لم يتم الجمع العثماني على النحو الذي أراده الله تعالى لحدث خلل في نص الآية القرآنية السابق ذكرها، ولما كان للقرآن حفظ ورعاية وعناية من الله تعالى له، فالله تعالى إذا أراد أمرًا هياً له الأسباب، ومن الأسباب رأي سيدنا عثمان وجمع من الصحابة على جمع القرآن الكريم في مصحف؛ وذلك تنفيذاً للأمر القدري ألا وهو تنفيذ إرادة الله في جمع القرآن على مصحف واحد، ويؤكد هذا القول العلامة الرازي حين قال: "فإن قيل: فلم اشتغلت الصحابة بجمع القرآن في المصحف وقد وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله فلا خوف عليه؟ والجواب: أن جمعهم للقرآن كان من أسباب حفظ الله تعالى إياه فإنه تعالى قيضهم لهذا الجمع"⁽²⁾.

ثانياً: تفرق الصحابة في الأمصار والبلدان واختلافهم في القراءة:

من المعلوم أن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه منذ أن تولي الخلافة سلك منهجاً آخر غير منهج الفاروق عمر رضي الله عنه في قيادة الدولة، فقد منع الفاروق رضي الله عنه الصحابة من مغادرة المدينة إلا بعد الرجوع إليه، وما أن تولي عثمان بن عفان الخلافة إلا وأباح وسمح للصحابة أن ينتشروا في جميع البلاد المفتوحة رجاء الدعوة إلى الله تعالى في سائر الأرض، وأن يستفيدوا من الاتصالات بالحضارات الأخرى، فتفرقوا في الأمصار والبلدان، وكانت لهجاتهم العربية مختلفة في نطق بعض الكلمات ودخل أقوام جدد من أهل البلاد المفتوحة في الإسلام، فقد ظن أهل كل مصر وفُطر أن قراءة صاحبهم هي القراءة الصحيحة وأن غير هذه القراءة ليست قرآناً مقتدى به، وقد ظهر هذا واضحاً جلياً أثناء غزو أرمينية⁽³⁾ وأذربيجان⁽⁴⁾ وخاصة عندما اختلط الشاميون بالعراقيين، فقد روي عن أنس بن مالك أن: "حذيفة بن اليمان قَدِمَ علي عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض 305،304/2

(2) مفاتيح الغيب للرازي 123/19، (بتصرف يسير).

(3) أرمينية: بكسر أوله، ويُفتح: اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال من بلاد الروم، وهي صحبحة الهواء وكل من سكنها طال عمره بإذن الله تعالى،

من أكثر البلاد عمارة، وأوسعها. معجم البلدان 1/132: 134

(4) أذربيجان بالفتح ثم السكون: إقليم واسع ومن مشهور مدائنها تبريز وهي اليوم قصبته وأكبر مدنها، وهي مملكة عظيمة الغالب عليها الجبال وفيه

قلاع كثيرة وخيرات واسعة وفواكه جمّة 0 معجم البلدان 1/109.

اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصُّحُف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله ابن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف ما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق⁽¹⁾.

ويذكر ابن حجر الفرق بين جمع المرحلة الثانية في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وجمع المرحلة الثالثة في عهد عثمان فنقرأ ما يسطره: "الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته، لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد، فجمعه في صحائف، مرتباً لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وجمع عثمان كان لما كثرت الاختلاف في وجوه القرآن حين قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدي ذلك ببعضهم إلى تحطئة بعض فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتباً لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغتهم وإن قد وسع في قراءته بلغة غيرهم رفعاً للحرص والمشقة في ابتداء الأمر، فرأى أن الحاجة إلى ذلك انتهت فاقتصر على لغة واحدة، وكانت لغة قريش أرجح اللغات فاقتصر عليها"⁽²⁾.

إن تفرقت الصحابة في الأمصار كان لهدف نبيل ودعوة إسلامية لأهل البلاد المفتوحة، فلا باس بهذا كله الخوف الشديد أن ينقلب هذا الهدف النبيل إلى فتنة وشر بسبب تعدد القراءات والاختلاف في وجوه القرآن الكريم، ولذا كان لسيدنا عثمان رضي الله عنه فكر واع وعقل حكيم كيف لا؟ وهو أحد الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض إنه يريد جمع الأمة على مصحف واحد، وعلى توحيد صف المسلمين على مصحف واحد، ومنعاً للخلاف فيما بينهم، قراءة هذا صحيحة، وذاك قراءته باطلة، وهكذا...، حيث يمكن القول بأن: "السبب الحامل لعثمان رضي الله عنه على جمع القرآن مع أنه كان مجموعاً مرتباً في صحف أبي بكر، إنما هو اختلاف قراء المسلمين في القراءة اختلافاً أو شكاً أن يؤدي بهم إلى أخطر فتنة في كتاب الله تعالى، وهو أصل الشريعة، ودعامة الدين، وأساس بناء الأمة الاجتماعي، والسياسي والخلقي، حتى إن بعضهم كان يقول لبعض إن قراءتي خير من قراءتك، فأفزع ذلك حذيفة، ففزع فيه إلى خليفة المسلمين وإمامهم، وطلب إليه أن يدرك الأمة قبل أن تختلف فيستشري بينهم الاختلاف، ويتفاقم أمره، ويعظم خطبه، فيمس نص القرآن، وتحرف عن مواضعها كلماته وآياته، كالذي وقع بين اليهود والنصارى من اختلاف كل أمة على نفسها في كتابها"⁽³⁾.

(1) أخرجه البخاري، ك: فضائل القرآن، ب: جمع القرآن الكريم 8/ 626، رقم (4987) 0

(2) عثمان بن عفان شخصيته وعصره ص: 225 0

(3) عثمان بن عفان شخصيته وعصره ص: 225 0

وقد ذكر الإمام السيوطي في الإتيان ما يؤكد كلامنا السابق ذكره حيث قال: "إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار لما خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات، فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي نزل بها القرآن فأما السابق إلى جمع القرآن بالجملة فهو الصديق رضي الله عنه وقد قال عليّ: لو وليت لعملت بالمصاحف عمل عثمان بها"⁽¹⁾. وبهذا العمل الجليل قطع سيدنا عثمان دابر الفتنة، وحسم دائرة الخلاف، وحصّن بذلك القرآن الكريم من أن يتطرق إليه شيء من الزيادة والنقصان أو التغيير أو التبديل على مر العصور والأزمان، وذلك بسبب افتراق الصحابة بين الأمصار والبلدان رغبة في تبليغ ونشر دين الله تعالى في أرضه.

ثالثاً: توحيد الصف الإسلامي تحت راية واحدة بمصحف واحد:

إن توحيد الصف الإسلامي هدف أساسي سعى إليه خليفة المسلمين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، فمن العوامل المساعدة على توحيد الصف الإسلامي تحت كلمة واحدة جمعهم على مصحف واحد، وقراءة واحدة، خاصة وأن القرآن نفسه أمر في الكثير من آياته بالاعتصام والاجتماع وحذر من التفرق والاختلاف، فمن ذلك ما نحفظه جميعاً من قوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (آل عمران/103)، وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنِيَانٌ مَرْصُورٌ} (الصف/4)، إلى غير ذلك من الآيات التي لا يسع المجال لذكرها، والداعية في جملتها إلى التوحد والاعتصام.

فبهذا العمل الجليل نرى أن سيدنا عثمان رضي الله عنه جمع الشعوب الإسلامية في: "وحدة قوية لا انفصام لها بجمعهم على مصحف واحد، ولولا ذلك العمل الجليل لوقع ما كان يخشاه رائد الخير حذيفة بن اليمان، ولتعدد القرآن كما تعددت التوراة والإنجيل، ولكن الله سلم، لسابق وعده {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (2). ولهذا عدّ العلماء جمع المصحف وتوحيد الصف الإسلامي عليه من أهم الأعمال التي قام بها سيدنا عثمان، حيث: "تعد كتابة المصاحف وجمع القرآن من أهم الأعمال التي عُرفت لذي النورين في خلافته سعيه في جمع المصاحف وجمع القرآن في نسخة واحدة، مما حمى الأمة من الفرقة والاختلاف كما افترق اليهود والنصارى"⁽³⁾. وهكذا يمكن القول بأن جمع القرآن الكريم بين دفتي المصحف من أهم أعمال ذي النورين رضي الله عنه فجزاه الله خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين، وأن توحيد الصف الإسلامي كان من الأسباب الأساسية التي دعت سيدنا عثمان لجمع المصحف.

(1) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي 80/1 (بتصرف)، جامع البيان للطبري 22/1، 23 (بتصرف) 0

(2) تاريخ الأمة العربية 63/2 .

(3) صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النورين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، ص: 65.

وما أجمل ما ذكره صاحب العواصم من القواصم حينما قال: "وأما جمع القرآن فتلك حسنته العظمي، وخصلته الكبرى، وإن كان وجدها كاملة، لكنه أظهرها ورد الناس إليها، وحسم مادة الخلاف فيها، وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه"⁽¹⁾.

"والعناية التي بذلها عظيم الإسلام أبو بكر وعمر، وأتمها أخوهما وصنوهما ذو النورين عثمان في جمع القرآن وتوحيد رسمه وتثبيتته، كان لهم أعظم المنة على المسلمين، وبها حقق الله وعده، في قوله تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }، وقد تولى الخلافة بعد هؤلاء الشيوخ الثلاثة أمير المؤمنين علي فأمضى عملهم وأقر مصحف عثمان برسمه وتلاوته، في جميع أمصار ولايته، وبذلك انعقد إجماع المسلمين في الصدر الأول على أن ما قام به أبو بكر وعمر وعثمان هو أعظم حسناهم"⁽²⁾.

ورحم الله القائل: "لقد كان من فضل الله تعالى أن وفق عثمان لجمع القرآن الكريم على حرف واحد جمع الناس على القراءة به، فرفع بذلك الاختلاف، وجمع الكلمة، ورحم الله به الأمة"⁽³⁾.
هذه هي بعض الأسباب والدوافع التي أدت بسيدنا عثمان رضي الله عنه إلى جمع القرآن في مصحف واحد وعلى قراءة واحدة بلغة قريش وذلك عن اختلافهم، وذلك لكونها لغة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني: المنهج العثماني المتبع في جمع القرآن.

إن لكل عمل حتى ينجح خطة، لو نُفذت الخطة كما ينبغي كُمل العمل على أحسن وجه، وهذا ما فطن إليه سيدنا عثمان رضي الله عنه حين بدأ مشروع جمع القرآن الكريم، فنراه أعد خطة حكيمة قويمه، وشروطاً لمن يشارك في هذا العمل الضخم، فلا يشارك في هذا العمل إلا من اجتمعت فيه الصفات الرشيدة التي تؤهله لأن يكون عضواً من أعضاء لجنة جمع المصحف العثماني، ويسجل اسمه بحروف من ذهب لكونه واحداً ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه.

ويتمثل المنهج العثماني المتبع في جمع القرآن في عدة نقاط نستطيع أن نلخصها فيما يلي مدلين على ما نقول ببعض من أقوال علمائنا الأجلاء - حفظهم الله تعالى وبارك فيهم أحياء وأمواتاً -:

أولاً: حُسن اختيار الصحابة المشاركين في هذا العمل، حيث اختار أربعة أو خمسة وصل عددهم إجمالاً إلى اثني عشر رجلاً "لَمَّا أَرَادَ عَثْمَانُ أَنْ يَكْتُبَ الْمَصَاحِفَ جَمَعَ لَهُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ فَبَعَثُوا إِلَى الرَّبْعَةِ الَّتِي فِي بَيْتِ عُمَرَ فَجِيءَ بِهَا وَكَانَ عَثْمَانُ يَتَعَاهَدُهُمْ فَكَانُوا إِذَا تَدَارَعُوا فِي شَيْءٍ أَحْرَوْهُ. قَالَ مُحَمَّدٌ: فَظَنَنْتُ أَنَّمَا كَانُوا يُؤَخَّرُونَ لِيَنْظُرُوا أَحَدَهُمْ عَهْدًا بِالْعُرْضَةِ الْأَخِيرَةِ فَيَكْتُبُونَهُ عَلَى قَوْلِهِ"⁽⁴⁾.

(1) العواصم من القواصم لابن العربي ص: 80.

(2) محقق العواصم من القواصم ص: 83.

(3) الوحي والقرآن لمحمد حسين الذهبي ص 133.

(4) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي 1/109، 210.

ومن هؤلاء الصحب الكرام زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأبي بن كعب وباقي الاثني عشر رجلاً، ونلاحظ أن زيد بن ثابت هو الأنصاري الوحيد أما الثلاثة الآخرون فهم قرشيون، وكان نصيبهم كبيراً، لأن القرآن نزل بلغة قريش، وكذا لا تنافي بين رواية البخاري التي اقتضت على ذكر الأربعة وبين الروايات الأخرى التي أضفت إليهم عددًا قد يصل إلى خمسة أو سبعة، فرواية البخاري حددت المجموعة الأساسية، والروايات الأخرى أضفت إليهم ممن ساعدتهم بالإملاء والكتابة، فكل واحد من المجموعة الأساسية له دور في مسألة الجمع.

ثانياً: جمع الأوجه المتواترة المجمع عليها في تلاوة القرآن، وترك كل ما لم تثبت قرآنيته، سواء بنسخ، أو بتقديم أو تأخير، أو بيان لصحابي وتوضيح منه، يؤكد على هذا القاضي الباقلاني حين يذكر في كتابه الانتصار ما نصه: "أن عثمان لم يقصد قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروضة على الرسول، وإلغاء ما لم يجرى ذلك، وأخذهم بمصحف عثمان لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ومنسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه، ومفروض قراءته وحفظه، وتسليم ما في أيدي الناس من ذلك، لما فيه من التخليط والفساد، وخشية دخول الشبهة على من يأتي من بعد، وأنه لم يسقط شيئاً من القراءات الثابتة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا منع منها، وحظرها"⁽¹⁾.

ثالثاً: الحصول على المصحف الموجود عند السيدة حفصة، حيث إنه من المعلوم أن سيدنا عثمان رضي الله عنه لما هم بالبدء في هذا المشروع العملاق طلب الصحف التي جمع فيها أبو بكر رضي الله عنه القرآن الكريم من حفصة - رضي الله تعالى عنها -، وهذه الصحف كما هو معلوم مكتوبة بإملاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث: "أرسل عثمان إلى حفصة أن «أرسلني إيننا بالصُّحُفِ نُنسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا عَلَيْكَ». فَأَرْسَلَتْ حَفْصَةَ بِالصُّحُفِ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَإِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَنْسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ"⁽²⁾.

رابعاً: حدد سيدنا عثمان رضي الله عنه المرجعية عند الخلاف في حرف أو لفظة أو قراءة بأن مرجعية ذلك لغة قريش فبلسانها نزلت آيات القرآن الكريم، فلا لغة إلا لغة قريش، وتوجيه ذلك باعتبار بداية النزول أو أنه أراد جمعهم على ما به أغلبية الآيات التي نزلت ألا وهي لغة قريش، وذلك منعاً لأي خلاف أو تفرق. "..... ثُمَّ قَالَ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: «مَا اِخْتَلَفْتُمْ فِيهِ أَنْتُمْ وَزَيْدٌ فَارْتَبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّهُ نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ ففعلوا....."⁽³⁾، قال القاضي الباقلاني: "ومعنى قول عثمان: إنه نزل بلسان قريش؛ أي: معظمه، ولم يبق دليل على أن جميعه بلغة قريش كله، قال

(1) الانتصار للقرآن لأبي بكر الباقلاني 65/1.

(2) فضائل القرآن للقاسم بن سلام ص 282، مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني 261/1، المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شُهبة ص 272.

(3) فضائل القرآن للنسائي ص 67، المقنع في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني ص 14.

الله تعالى: {قُرْآنًا عَرَبِيًّا}، ولم يقل: قرشيًا، قال: واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولاً واحداً، يعنى: حجازها ومعناها⁽¹⁾، "نقل الإمام أبو شامة عن بعض الشيوخ أنه قال: أنزل القرآن أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثم أبيع للعرب أن يقرءوه بلغاتهم التي جرت عاداتهم باستعمالها، على اختلافهم في الألفاظ والإعراب، ولم يكلف أحد منهم الانتقال من لغة إلى أخرى للمشقة، ولما كان فيهم من الحمية ولطلب تسهيل فهم المراد، كل ذلك مع اتفاق المعنى، وعلى هذا يتنزل اختلافهم في القراءة كما تقدم، وتصويب رسول الله كلاً منهم"⁽²⁾. وأكبر دليل على ذلك اختلافهم على قراءة لفظ (تابوت)، (تابوه) حيث قال الزهري: "واختلفوا يومئذ في التابوت والتابوه، فقال النفر القرشيون: التابوت، وقال زيد: التابوه، فرفع اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه التابوت، فإنه بلسان قريش"⁽³⁾.

خامساً: كان من منهج الخليفة الراشد في جمع القرآن الكريم أنه المشرف العام على هذا العمل وإليه المرجعية العليا، والتعهد العام على إتمام العمل حتى نهايته، ويشهد لذلك ما أخرجه ابن أبي داود من طريق محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال: لما أراد عثمان أن يكتب المصحف جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار فبعثوا إلى الربيعة التي في بيت عمرفجيء بها وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تدارؤوا في شيء أحرؤه"⁽⁴⁾.

سادساً: إرسال مناد ينادي في كل أرجاء المدينة المنورة خصوصاً باعتبارها عاصمة الدولة، وسائر أرجاء الدولة الإسلامية عموماً بأن من سمع شيئاً من القرآن الكريم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عنده لوح أو صحيفة مكتوبة خاصة به فليأت بها إلى مقر الخلافة، أو اللجنة الخاصة بنسخ المصحف، وهدف سيدنا عثمان من هذا الإعلان العام أن يكون جمع القرآن عن ملام من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ويشهد لقولنا هذا ما ثبت عن علي بن أبي طالب أنه قال: "يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيراً [أو قولوا له خيراً] في المصحف وإحراق المصحف، فوالله ما فعل الذي فعل في المصحف إلا عن ملامنا جميعاً، فقال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفرة، قلنا: فما ترى؟ قال: نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة، ولا يكون اختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت قال: فقيل: أي الناس أفصح، وأي الناس أقرأ؟ قالوا: أفصح الناس سعيد بن العاص، وأقرأهم زيد بن ثابت، فقال: ليكتب أحدهما ويمل الآخر ففعلوا وجمع الناس على مصحف، قال: قال علي: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل"⁽⁵⁾، إذا ففعل عثمان هذا يُراد به إشهاد الأمة على هذا الجمع للآيات الكريمة، وهذا يُعد من السياسة الحكيمة التي سلكها سيدنا عثمان في جمعه للقرآن.

(1) فضائل القرآن لابن كثير ص135.

(2) المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شامة ص 180.

(3) كتاب المصاحف لأبي داود ص88.

(4) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي 209/1.

(5) كتاب المصاحف لأبي داود، ص96.

سابعاً: شدة التوثيق في جمع الآيات القرآنية وعدم التهاون في شأنها والأخذ بالأحوط دائماً، فقد ثبت أن سيدنا عثمان في إحدى خطبه قام خطيباً في الناس قائلاً: "إِنَّمَا قُبِضَ نَبِيِّكُمْ مِنْذُ خَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةٍ، وَقَدْ اخْتَلَفْتُمْ فِي الْقُرْآنِ، عَزَمْتُ عَلَى مَنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَتَانِي بِهِ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَأْتِيهِ بِاللُّوْحِ، وَالْكَتِفِ وَالْعُسْبِ فِيهِ الْكِتَابُ، فَمَنْ أَتَاهُ بِشَيْءٍ قَالَ: أَنْتَ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ثُمَّ قَالَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْصَحُ؟ قَالُوا: سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ النَّاسِ أَكْتَبُ؟ قَالُوا: زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ قَالَ: فَلْيَكْتُبْ زَيْدٌ وَيُمْلِئْ سَعِيدٌ"⁽¹⁾.

ثامناً: من منهج عثمان أيضاً أنه منع كتابة منسوخ التلاوة، وما لم يكن في العرصة الأخيرة على رسول صلى الله عليه وسلم، وما ليس بقرآن كتفسير بعض الكتاب في هوامش صحائفهم الخاصة... إلى غير ذلك، ويؤكد هذا ما أخرج ابن أبي داود من طريق محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال: لَمَّا أَرَادَ عُثْمَانُ أَنْ يَكْتُبَ الْمَصَاحِفَ جَمَعَ لَهُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ فَبَعَثُوا إِلَى الرَّبِيعَةِ الَّتِي فِي بَيْتِ عُمَرَ فَجِيءَ بِهَا وَكَانَ عُثْمَانُ يَتَعَاهَدُ هُمْ فَكَانُوا إِذَا تَدَارَعُوا فِي شَيْءٍ أَحْرَوْهُ. قَالَ مُحَمَّدٌ: فَظَنَنْتُ أَنَّمَا كَانُوا يُؤَحَّرُونَ لِيَنْظُرُوا أَحَدَهُمْ عَهْدًا بِالْعُرْصَةِ الْآخِرَةِ فَيَكْتُبُونَهُ عَلَى قَوْلِهِ"⁽²⁾.

تاسعاً: مراجعة المصحف مراجعة تامة عامة من قبل زيد بن ثابت ومن بعده خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهم أجمعين، يؤكد هذا ما ورد: "في رواية ابن شهاب وأخبرني خارجة بن زيد سمع زيد بن ثابت يقول فُيِدَتْ آيَةٌ مِنَ الْأَحْزَابِ حِينَ نَسَخْنَا الْمُصْحَفَ قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِهَا لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ إِلَّا مَعَ حُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} فألقناها في سورتها وخزيمه الأنصاري شهادته بشهادتين، وقول زيد لم أجدها إلا مع حزيمة ليس فيه إثبات القرآن بخبر الواحد لأن زيداً كان قد سمعها وعلم موضعها في سورة الأحزاب بتعليم النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك غيره من الصحابة ثم نسبها فلما سمع ذكره وتتبعه للرجال كان لا يستطيعون أن يثبتوا العلم وسيأتي أن الذين كانوا يحفظون القرآن من الصحابة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة والمراد أن هؤلاء كانوا اشتبهوا به فقد ثبت أن غيرهم حفظه وثبت أن القرآن مجموعته محفوظ كله في صدور الرجال أيام حياة النبي صلى الله عليه وسلم مؤلفاً على هذا التأليف إلا سورة براءة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل من المدينة وكانت براءة من آخر القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرئت بينهما ولم يكتب بينهما سطر {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} ثم كتبت فثبت أن القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما ترك جمعه في مصحف واحد لأن النسخ كان يرد على بعض فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعض لأدى إلى الاختلاف واختلاف الدين فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمان النسخ ثم

(1) المرجع السابق ص101، فضائل القرآن لابن كثير ص84.

(2) كتاب المصاحف لأبي داود ص104، الإتيان في علوم القرآن للسيوطي 209/1، 210.

وُفِّقَ لِحِجْمَةِ الخلفاء الراشدين⁽¹⁾، فهذه الروايات تثبت أن المراجع قبل الأخير هو سيدنا زيد بن ثابت، ثم اللمسة النهائية تكون بيد ذا النورين رضي الله عنهما جميعاً.

عاشراً: نسخ عدد من المصاحف وتوزيعها على الأمصار والبلدان، وهي المعروفة الآن في واقعنا المعاصر بـ"المصحف العثماني"؛ حيث "كَتَبَ مَصَاحِفَ فَفَسَّمَهَا فِي الْأَمْصَارِ، فَمَا رَأَيْتُ (2) أَحَدًا عَابَ ذَلِكَ عَلَيْهِ" (3).

ومن خلال النقاط سالفة الذكر ظهر لنا جلياً المنهج العثماني الذي نفذه سيدنا عثمان في جمع القرآن، وأن هذا العمل تم عن علم من جمع الصحابة في ذلك الوقت، وأهم جميعاً مشاركون فيه حتى تم هذا العمل على أكمل وجه وأحسنه، وهذا من أسباب حفظ الله تعالى لكتابه العزيز تصديق ذلك قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر/9).

المطلب الثالث: تراجم لبعض ممن ساهم في مسألة الجمع.

تتفق معظم الروايات الواردة في مسألة جمع القرآن على أن المشاركين فيه أربعة، وذلك بمساعدة آخرين وصل عددهم كما تذكر الروايات إلى اثني عشر رجلاً، وأصل الروايات رواية الإمام البخاري حيث روى بسنده: "أَنَّ حُدَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُعَازِي أَهْلَ الشَّامِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَّةَ، وَأَذْرَبِيحَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْرَعُ حُدَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ حُدَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكُ هَذِهِ الْأُمَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: «أَنْ أُرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسُخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكَ»، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ"، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: «إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَارْتَبِعُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ» فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أَقْفٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ" (4).

وفي مطلبنا هذا سوف نعيش مع ترجمة لبعض ممن كان لهم دور حيوي في مسألة الجمع، حيث نبدأ بما بدأ به الحديث الشريف رضي الله عنهم أجمعين:

أولاً: زيد بن ثابت رضي الله عنه:

(1) البرهان في علوم القرآن للزركشي 1/234، 235.

(2) راوي الحديث هو سيدنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(3) كتاب المصاحف لأبي داود ص 101.

(4) أخرجه البخاري ك: فضائل القرآن، ب: جَمْعِ الْقُرْآنِ 183/6 رقم (4987)، علماً بأنه قد سبق الإشارة إلى أنه اشترك في جمع القرآن اثني عشر رجلاً، وتم التوفيق بين سائر الروايات كما قلنا آنفاً.

الإمام الكبير شيخ المقرئين والفرضيين مفتي المدينة أبو سعيد وأبوخارجة الخزرجي الأنصاري، كاتب الوحي رضي الله عنه، قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، استصغر يوم بدر، كان يكتب الوحي للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وغيرهم، روى عنه ابن خارجة، وسليمان، وأبو هريرة، وأنس وغيرهم، كان عمر بن الخطاب يستخلفه إذا حج على المدينة وهو الذي تولى قسمة الغنائم يوم اليرموك، وقد قتل أبوه قبل الهجرة يوم بعث فري زيد يتيماً، وكان أحد الأذكىاء، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم أسلم زيد وهو ابن إحدى عشرة سنة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعلم خط اليهود ليقراً له كتبهم قال فإني لا آمنهم.

وقال عبيد بن السباق حدثني زيد أن أبا بكر قال له إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فقلت كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر فكنت أتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعُسب وصدور الرجال، قال أنس جمع القرآن على عهد رسول الله أربعة كلهم من الأنصار أبي ومعاذ وزيد بن ثابت وأبو زيد خالد الحذاء، وعن أبي قلابة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أفرض أمي زيد بن ثابت.

كان أصحاب الفتوى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر وعلي وابن مسعود وزيد وأبي موسى، وعن ابن عباس قال لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن زيد بن ثابت من الراسخين في العلم، قال علي بن المديني لم يكن من الصحابة أحد له أصحاب حفظوا عنه وقاموا بقوله في الفقه إلا ثلاثة زيد وعبد الله وابن عباس.

ومن جلاله زيد أن الصديق اعتمد عليه في كتابة القرآن العظيم في صحف وجمعه من أفواه الرجال ومن الأكتاف والرقاع واحتفظوا بتلك الصحف مدة، فكانت عند الصديق، ثم تسلمها الفاروق، ثم كانت بعد عند أم المؤمنين حفصة، إلى أن ندب عثمان زيد بن ثابت ونفراً من قريش إلى كتاب هذا المصحف العثماني الذي به الآن في الأرض أزيد من ألفي نسخة ولم يبق بأيدي الأمة قرآن سواه والله الحمد، مات سنة 45هـ، ولما دفن قال ابن عباس: من سره أن يعلم كيف ذهب العلم فهكذا⁽¹⁾.

ثانياً: عبد الله بن الزبير رضي الله عنه:

هو: عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، ولد عام الهجرة فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها حملت بعبد الله بن الزبير في مكة، قالت: فخرجت وأنا مُتَمِّ فأتيت المدينة، فنزلت قباء، فولدت بقباء، ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوضعت في حجره، ثم دعا بتمر، فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل

(1) يراجع في ترجمة زيد ودوره في جمع القرآن في عهدي أبي بكر وعثمان: الاستيعاب: 1/551:554، الإصابة 1/561، 562، رقم(2880)،

سير أعلام النبلاء للذهبي 2/426:441، البداية والنهاية لابن كثير 5/585، إلى غير ذلك من كتب السير والتاريخ.

جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم حنكه بالتمر، ثم دعا له، فبُرك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام، ففرحوا به فرحًا شديدًا.

أحد المشاركين في جمع القرآن الكريم في المرحلة العثمانية، حدّث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبيه وعن أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم، أحد العبادة وأحد الشجعان روي عنه أخوه عروة وابناه عامر وعباد وغيرهم، أحد من تُوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، وأحد المجاهدين في سبيل الله لإعلاء راية الإسلام، بويح بالخلافة سنة (64هـ)، قتل سنة (73هـ)⁽¹⁾.

ثالثًا: سعيد بن العاص رضي الله عنه:

هو: سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي أبي عثمان ابن أخي سعيد بن سعيد، ولد عام الهجرة، كان رحمه الله تعالى من فصحاء قريش، ولهذا ندبه سيدنا عثمان فيمن ندب لكتابة القرآن، قال ابن أبي داود في المصاحف: حدّثنا العباس بن الوليد، حدّثنا أبي، حدّثنا سعيد بن عبد العزيز، أنّ عريبة القرآن أُقيمت على لسان سعيد بن العاص، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال سيدنا عثمان أيُّ النَّاسِ أَفْصَحُ؟ قَالُوا: سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ النَّاسِ أَكْتَبُ؟ قَالُوا: زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ قَالَ: فَلْيَكْتُبْ زَيْدٌ وَلْيُمَلِّ سَعِيدٌ، استعمله عثمان على الكوفة، وغزا بالناس طبرستان ففتحها، اعتزل أيام الجمل وصفين، ولم يشهد شيئًا أيام الحروب، وكان حليماً وقوراً، مشهوراً بالكرم والبر، وكان معاوية يقول: لكل قوم كريم، وكرمنا سعيد، تُوفي في خلافة معاوية سنة (59هـ)⁽²⁾.

رابعًا: عبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنه:

هو: عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي، مات أبوه في طاعون عمواس سنة (18هـ)، وتزوج عمر أمه، فنشأ في حجر عمر، فسمع منه ومن غيره، كان من كبار ثقات التابعين، وتزوج بنت عثمان، وكان ممن ندبه عثمان لكتابة المصاحف من شباب قريش، وابنه أبو بكر أحد الفقهاء السبعة المعروفين، قال ابن سعد: وكان عبد الرحمن من أشرف قريش، روى عن عمر وعثمان وأبي هريرة وعلي وغيرهم، وروى عنه أولاده أبو بكر وعكرمة والمغيرة، مات سنة (43هـ)⁽³⁾.

(1) يراجع في ترجمة ابن الزبير: الاستيعاب 2/ 300: 307، الإصابة 2/ 309: 311 رقم (4682)، البداية والنهاية 568/4، تاريخ خليفة بن خياط لخليفة بن خياط ص65، فتوح البلدان للبلادري ص55 وما بعدها،.... وغير ذلك من كتب التراث والكتب المعاصرة المتحدثة عن دور ابن الزبير في جمع القرآن الكريم.

(2) يراجع في الترجمة الاستيعاب 2/ 8: 11، الإصابة 2/ 47، 48، رقم (3268)، كتاب المصاحف لأبي داود، ص101، جمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي ص165، المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شُهبة ص273.

(3) الإصابة 3/ 66، رقم (6199)، تحذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني 6/ 156، 157، جمع القرآن (دراسة تحليلية لمروياته) لأكرم الدليمي ص184، شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، لمساعد الطيار ص43.

وبعد هذه ترجمة مختصرة للجنة الأساسية المكلفة بجمع القرآن الكريم، وبيان دورهم في مسألة الجمع، وما بذلوه من جهد ووقت خدمة لدين الله عز وجل، فجزاهم الله خير الجزاء على ما قدموه خدمة للإسلام والمسلمين، توحيداً لكلمته، وجمعاً لكتابه.

الختام

بعد قراءة ومطالعة لأهم كتب علوم القرآن والكتب التي تتحدث عن مسألة جمع القرآن الكريم يمكن لنا أن نستخلص بعضاً من النتائج التي وقفنا عليها، فمن هذه النتائج:

أولاً: إخلاص صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياتهم العامة والخاصة خدمة لكتاب الله تعالى، ومدى تفانيهم وثبتهم في جمع كل حرف وكلمة من كتاب الله تعالى.

ثانياً: ما جمعه اللجنة العلمية القرآنية المكلفة بالجمع إنما هو نسخ وتجميع لما كان في الصحف التي جمعها سيدنا أبو بكر الصديق من قبل، مع توحيد القراءة على لغة قريش عند وقوع الاختلاف فيما بينهم، حيث إنها الأصل الذي نزل عليه القرآن الكريم، مع ترتيب لسوره كما سُمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: هياً الله تعالى بعض الدوافع التي كانت سبباً في جمع القرآن الكريم في كتاب واحد، ونسخة واحدة سُمعت وقرأت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجمع الصحابة عليها مؤيدين بعد مشاورة فعل سيدنا عثمان رضي الله عنه، ثم إرسالها إلى كل أقطار الدولة الإسلامية لتكون المرجع القرآني الأول للأمم في مشارق الأرض ومغاربها.

رابعاً: ما كُتب في المصحف العثماني إنما هو عبارة عن مطابقة بين المحفوظ والمكتوب فلا يُكتب حرف مكتوب دون سماعه، ولا سماعه دون التأكد من كتابته وشهادة الشهود على ذلك، وذلك باستثناء أواخر سورة التوبة كما قلنا سابقاً، وهذا يدل على مدى الثقة والتوثيق الذي اعتمد عليه الصحابة في جمعهم لآيات وسور القرآن الكريم.

خامساً: هناك مؤهلات شخصية أهلت اختيار أعضاء اللجنة المشاركة في مسألة الجمع، حيث توافرت فيهم أمور لم تتوافر في غيرهم منها ملازمة البعض منهم للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وكذا قوة الذاكرة الحافظة لكتاب الله تعالى، وكوثرهم من أكثر الصحابة حفظاً لكل القرآن الكريم، فالقرآن في مجمله محفوظ، ولكن كم من الصحابة حفظ القرآن وحده فهذا هو القليل الذي لم يتوافر في الكثير منهم.

أهم التوصيات:

أولاً: أوصي نفسي وكل القائمين على الرعاية والعناية بكتاب الله عز وجل والمحبين له بتقوى الله تعالى، وعدم الانسياق وراء النعرات الكاذبة التي تدعي بين الحين والآخر بوجود أخطاء وتناقض بين آيات وسور القرآن الكريم، فما علينا إلا أن نُظهر الحق لمن أراد ذلك، ومن أعرض عن هذا وذاك فيراجع نفسه مرة أخرى لعله يجد غايته في النظرة الأخرى، يؤكد هذا قول الله تعالى: {ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} الملك/4.

ثانيًا: أوصي بالعمل على طبع ونشر وترجمة هذه البحوث للغات الأخرى كالصينية والهندية - وذلك نظرًا لكثرة وجودهم على الأراضي الماليزية-، فهي عصارة أفكار علماء الأمة الإسلامية، حيث بذل أصحابها فيها جهدًا كبيرًا خدمة لكتاب الله عز وجل، والرجل غير العربي لا يعرف إلا ما يُلقى على مسامعه، أو يقرأه في كتاب، فعلينا نحن المسلمين أن نعمل على نشر وترجمة أعمالنا العلمية ليقراها ويتعلمها من لا يُحسن العربية، فنحن من نعرض بضاعتنا ولا نتنظر من يأتي ليأخذ بضاعتنا ونحن في بيوتنا.

ثالثًا: أوصي كل الجامعات والمؤسسات العلمية على مستوى الدول الإسلامية بعقد مثل هذه المؤتمرات، حيث إنها فرصة طيبة لتبادل الثقافات والخبرات العلمية بين أهل التخصصات المختلفة، ففي هذه الملتقيات يتقابل الأستاذ مع طلابه، والشيخ مع مريديه، والحبيب مع أحبائه حيث يتبادلوا وجهات النظر المتباينة، والتي لا خلاف على كونها وجهات نظر مثمرة نافعة، فيها النفع والصلاح للإسلام والمسلمين.

رابعًا: أوصي كل المهتمين بالدراسات الإسلامية بمتابعة كل ما يجري على الساحة العالمية من مؤتمرات، وندوات، وصالونات أدبية وثقافية، وملتقيات فكرية ففي هذه اللقاءات يدار ما ينفع المسلمين تارة، وما فيه ضرر لهم تارة أخرى، فحسب المسلم دائمًا أن الحكمة ضالته فأني وجدها فهو أحق الناس بها.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. الإتيقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ-1974م.
2. الاستيعاب في أسماء الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي المالكي (ت: 463هـ) بهامش الإصابة، ط: دار الفكر العربي.
3. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، ط: دار الفكر العربي (بدون).
4. الانتصار للقرآن للقاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت: 403هـ)، ت: د. محمد عصام القضاة، نشر: دار الفتح، عمّان، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة: الأولى 1422 هـ - 2001 م.
5. البداية والنهاية لابن كثير (ت: 774هـ)، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م، سنة النشر: 1424 هـ - 2003 م.
6. البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت: 794هـ)، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م، نشر: دار إحياء الكتب العربية.
7. تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (ت: 1205هـ)، ت: مجموعة من المحققين، نشر: دار الهداية.
8. تاريخ الأمة العربية دراسات في عهد الخلفاء الراشدين د: عبد الفتاح شحاته، 1392 هـ - 1972 م.

9. تاريخ خليفة بن خياط لخليفة بن خياط (ت:240هـ)، ت: د. أكرم العمري، نشر: دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، 1397هـ.
10. تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (ت:852هـ)، نشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الأولى، 1326هـ.
11. تيسير المنان في سيرة عثمان بن عفان شخصيته وعصره، د: محمد علي الصلابي، ط: دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الأولى 1423هـ _ 2002م.
12. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت:761هـ)، ط: دار الكتاب العربي، الجمهورية المتحدة 1387هـ - 1967م.
13. جمال القراء وكمال الإقراء لأبي الحسن علم الدين السخاوي (ت:643هـ)، ت: د. مروان العطية، د. محسن خرابة، نشر: دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى 1418هـ - 1997م.
14. جمع القرآن (دراسة تحليلية لمروياته) لأكرم عبد خليفة حمد الدليمي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1427 هـ - 2006م.
15. سير أعلام النبلاء للذهبي (ت:748هـ)، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405هـ - 1985م.
16. الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (ت:544هـ)، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: 1409هـ - 1988م.
17. شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، لمساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، اعتنى بها: بدر بن ناصر بن صالح الجبر، نشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، 1431هـ.
18. صحيح التوثيق في سيرة وحياتة النبي سيدنا عثمان بن عفان لمجدي فتحي السيد، ط: دار الصحابة للتراث، بطنطا، الطبعة الأولى، 1417هـ-1996م.
19. العواصم من القواصم لابن العربي (ت:543هـ)، خرج أحاديثه محمود مهدي الإسطنبولي، حققه وعلق حواشيه الشيخ: محب الدين الخطيب، مكتبة السنة، الطبعة السادسة، 1412هـ.
20. الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت:630هـ) ت: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، 1407هـ - 1987م.
21. المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شُهبة (ت:1403هـ)، نشر: مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م.
22. المقنع في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني (ت:444هـ)، ت: محمد الصادق قمحاوي، نشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
23. الوحي والقرآن د: محمد حسين الذهبي، نشر مكتبة وهبه، الطبعة الأولى، 1986م.

24. فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (ت:852هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، قصي محب الدين الخطيب، ط: المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة، 1407هـ - 1987م.
25. فتوح البلدان للبلاذري (ت:279هـ)، نشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، عام النشر: 1988م.
26. فضائل القرآن لابن كثير (ت:774هـ)، نشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الأولى - 1416 هـ.
27. فضائل القرآن للنسائي (ت:303هـ)، ت: د. فاروق حمادة، نشر: دار إحياء العلوم، دار الثقافة - بيروت، الدار البيضاء، الطبعة: الثانية، 1413 هـ - 1992م.
28. فضائل القرآن للقاسم بن سلام (ت:224هـ)، ت: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، نشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1995م.
29. كتاب المصاحف لأبي داود (ت:316هـ)، ت: محمد بن عبده، نشر: الفاروق الحديثة - مصر، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2002م.
30. مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ط: مكتبة وهبة، الطبعة العاشرة، 1417 هـ - 1997م.
31. مختار الصحاح للرازي، ت: محمود خاطر، نشر: مكتبة لبنان، بيروت، 1415 هـ - 1995م.
32. مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي (ت:606هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1420 هـ.
33. مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني (ت:1367هـ)، نشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.